

سلسلہ مقالات اونیٹا ماربرس

الطبرک اونٹاکی

(۱۶)

الصَّعُوذُ

یوسف حبیب

ملیکہ حبیب یوسف

مقال القديس انبا ساويرس

البطريرك اليوناني

(١٦)

من

الصعود

مترجم عن الفرنسية من الكتاب الأول من الجزء الثاني

من مجموعة

Patrologia Orientales, R. Graffin — F. Nau

Les Homélie Cathedrales de Sévère d'Antioche.

Homélie LXXI

Publiée par Maurice Brière

PARIS

٢٥
التمت

بِسْمِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ الرَّاهِمِ آمِينَ



حضرة صاحب الغبطة ايونا الطوباوى المكرم

الانبا كيرلس السادس

بابا و بطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

بسم الآب والابن والروح القدس اله واحد آمين

اشتهر القديس ساويرس بمقالاته اللاهوتية ونرى فيها الكثير من المعاني الدقيقة والافكار العميقة يبرزها بمهارة بانتقاء ما يناسبها من الالفاظ. وهذه المقطعات من المقال الحادى والسيمون من مقالات الاب القديس ساويرس البطريرك الانطاكي عن صعود الرب مخلصنا يسوع المسيح المترجم من الكتاب الاول من الجزء الثانى عشر من مجموعة

Patrologia Orientalis, R. Graffin — F. Nav

Tome XII, Fasc. 1, Homélie LXXI

Les Homélie Cathedrales de Sévère d'Antioche

ترجمه إلى السريانية الاسقف يعقوب الزهاوى فى القرن

الحادس ثم ترجمه الى اللغة الفرنسية ونشره موريس برييه Maurice Brière وترجمناه إلى العربية وفى الترجمة توخينا التدقيق لنعطي النصوص الصورة الاصلية التى قصد اليها القديس وراعينا ان نلهم المعانى الالفاظ الانسب والعبارات الأدق. وفى بعض الافكار اللاهوتية التى يروح فيها المؤلف وابدع حتى بلغ ذروة الاعجاز ذكرنا فى الهامش النص الفرنسى والحقيقة ان جميع لغات العالم غير قادرة على نقل صورة بعض الافكار اللاهوتية الى الناس إلا بمقدار. وقد اضطررنا فى القليل من الحالات إلى بعض التصرف بما تقتضيه لترجمه وخواص كل لغة مع عدم الأخلال بالأصول.

وللهنا الحمد والمعظمة الى أبد الدهور آمين.

مليكة حبيب يوسف يوسف حبيب

١٩٧٠

قال القديس ساويرس :

انى احتفل بتقاليد الرسل القديسين التى سلمها لنا
اعمدة (١) هذه الكنيسة كبريات ابدى ، بعد ان تسلوها
كل واحد بدوره على نحو ما يتعلم الابن من ابيه ، فتمت
على ايديهم وكانت معرفة السر تزدهر في القلوب .

وقال داود : عابرين في وادى البسكاه بصيرونه
ينبوعاً . أيضاً بركات يغطون مورة . يذهبون من قوة
إلى قوة . يرون قدام الله في صهيون ، (مز ٦٨-٧) .
ومن هذه التقاليد بدوى سموت الكنيسة عالياً
اليوم ، معلماً بذلك انه لأجلنا نحن ، صعد المسيح
إلى السموات .

حقاً كما نعهد المسيح لأجلنا ، كان يظهر المياه
ويقدسها ، ولم تسكن ليتطهر بها ، وأنى يكون ذلك لمن

(١) رعاة Pasteurs .

هو نور النور ، الذى لا يعرف خطيته ، انه لأجلنا
صلب ، كما هو مكتوب ، انه ارتفع إلى السجالات
بالآلام ، مع كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألم به وإذا
كل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص ابدى .
(عب ٥ : ٨-٩) .

ان ذلك الذى هو بطبيعته كامل فى كل شئ . جعلنا
نحن المحتاجين نكمل به بخلص كامل وشفاء كامل ؛ كان
فى الجسد يصارع الموت ويسكر شوكرته وهو هو الذى
يملا السماء والأرض ، الاشياء المرئية وغير المرئية .
صعد جسدياً فوق كل السموات ، حملنا معه نحن الذين
كنا مطرودين من السماء ، أو بالحرى كنا غير مستحقين
ان نطأ الأرض .

وكما اننا حينما نبتشر بفضل القيامة نبين ان بها قنا
من سقطة الخطية القديمة ، هكذا فى اليوم الاربعين من قيامة
مخلصنا من بين الاموات إذ صعد على عرش ملكة الموضوع

فوق السماء نعلم اننا اصبحنا سماويين . ذلك الذى هو فوق
كل رقعة وساطان وقوة ، (اف ١ : ٢١) باكورة جنسنا .
و لا يمكن الآن قد قام المسيح من الاموات وصار باكورة
الراقدين ، (١ كو ١٥ : ٢٠) .

فبالفعل اتخذ كلمة الله نسل ابراهيم ، لانه حقا ليس بمسك
الملائكة بل بمسك نسل ابراهيم ، (عب ٢ : ١٦) ، حينما كان
من المرأة ، ونحمت الناموس . و لم يكن لما جاء ملء الزمان
ارسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحمت الناموس ،
(غل ٤ : ٤) . حينما اشترك مثلنا في الدم والجسد اللذين
لهما نفس عاقلة ، و فاذا قد تشارك الاولاد في اللحم والدم
اشترك هو ايضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذى له
سلطان الموت اى ابليس ، (عب ٢ : ١٤) ، حينما شابهنا في
كل شيء ، نحن اخوته ، ما خلا الخطية . من ثم كان ينبغي
ان يشبه اخوته في كل شيء لكي يسكون رحيماً ورئيس كهنه
اميناً في ما لله حتى يسكفر خطايا الشعب ، (عب ٢ : ١٧) .

فلا تتعجب إذا كان عمانوئيل ، باكورة جنسنا ، قد
صعد إلى هذا الارتفاع ؛ فانه في الواقع لم يصغر اختطافاً
ان يكون مساوياً لله ، ؛ بمعنى انه لم يمكن كجبار اقتحم
الملائكوت ، ولم يمكن اختطف العرش بغير حق ، حينما قدر
وحكم بأنه مساو لله (١) ، مع انه كان في شكل الله . وفي جوهر (٢)

(١) جاء في النص الفرنسى ما يلى :

“Lorsqu'il s'est lui-même estimé et jugé l'égal
de Dieu.”

(٢) وقد ورد في النص الفرنسى في البيترولوجيا الكلمات

الاربع التالية متفرقة في اجزاء مختلفة وهى :

- ١ - Nature
- ٢ - Personne
- ٣ - Hypostase ou substance
- ٤ - Essence

فكلمة Essence في النص عالىه ، ومعناها ما يشكون
منه طبيعة الشيء ، اذق معنى لها في علم اللاهوت ما نعبر
عنه بالجواهر .

الله ، اخل ذاته واتخذ شكل العبد ، وبدون تغيير تأنس حقا ،
 وليس ظاهريا ، وكان يمينا في شبه الناس ، ومن الخارج ظهر
 كإنسان . و الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلقة ان
 يسكون معادلا لله لسكنته اخل نفسه آخذا صورة عبد صائرا
 في شبه الناس ، (في ٢ : ٧ - ٨) . لم يحقر أو يرفض رتبة
 العبد في شيء . بل حينما اخذ على عاتقه مرة واحدة ان يكون
 انسانا حقيقيا عاش كإنسان مع الناس ، مظهرا الشبه معنا
 في كل شيء . ما عدا الخطية وحدها .

لم يظهر رجلا غريبا فهو يملك كاله سمو الطبيعة . كان
 يعمل التدبير الالهى بحكمة وبنعمة نحونا ، فكان وهو الكمال
 يرى وهو ينمو مع السن في الحكمة والنعمة . . وأما يسوع
 فكان يتقدم في الحكمة والنعمة . . وأما يسوع فكان يتقدم
 في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس ، (لوقا ٢ : ٥٢) .

جاع ، عطش ، وتحمل تعب الطريق ، وكان يخضع ذاته
 بارادته للآلام الأخرى . اعنى الآلام البعيدة عن الخطية .

ان خطيته آدم كانت العصيان وتعدى الوصية . بينما
 كان المسيح ، آدم الثاني ، يبذل نفسه فداء فيمحو الخطية .
 ان الوصية التي اخذها من الآب هي خلاصنا . فبتنفيذ هذه
 الوصية واطاعته للآب ، كان يقدم لنا مثال الحياة الافضل ،
 يعني العصيان بالطاعة والعصيان مصدر الشرور ، منه خرج
 تيار الخطية الجارف فدخل الموت الى جنس البشر كله وتملك
 فيه . وأصبح ضروريا ان يقدم المسيح الطاعة بدلا منا ،
 فيذهب حتى إلى الموت الذي كان آدم يستحقه بعصيانته ،
 وبهذا غرس نعمة الخلود بقيامته . وهذا ما كان يقوله
 بولس الرسول : « وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه
 واطاع حتى الموت موت الصليب . لذلك رفعه الله أيضا وأعطاء
 اسما فوق كل اسم . لكي نجثو باسم يسوع كل ركبة عن في
 السماء ومن على الارض ومن تحت الارض ويعترف كل لسان
 ان يسوع المسيح هو رب مجد الله الآب . » (في ٢ : ٨ - ١١)

يا لعنك حكمة الله وعلمه !! يا لعن التدبير الالهى !!

كيف ان ما يليق باقته المتعال العظيم نجده في الاشياء المنفقة مع
التدبير الالهي . لذلك رفعه الله أيضاً واعطاه اسماً فوق كل اسم ،
(في ٢ : ٩) .

اطاع حتى الموت ، وتحمل مسوت الصليب . صلب وتأم
حسب الجسد ، الذي اذ كان في صورة الله اخلى نفسه
آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس ، (في ٢ : ٦ - ٧)
بتأنيسه .

معنى عبارة ، اخذ شكل العبد ، انه حسب معنا نحن الذين
نخضع لحاجة الجسد ، وقد بذل ذاته فداءً عنا لخلاص البشر .

لذلك مكتوب أيضاً ان الله اعطاه اسماً فوق كل اسم ، لانه
من نفس الجوهر كالأب (١) وهو سيد الكون ، اعطاه لاجلنا
نحن الذين تعود علينا هذه العطية ، ولنا ايضاً جعل نفسه باكورة .

(١) النص الفرنسي : " en tant qu'il est de la même essence que le Père et qu'il est le maître de l'univers .

ولولم يكن هو نفسه بالجوهر انسان واله ، بل كانت له
طبيعتان ، كما يزعم النسطوربيون الجهلاء ، لما كان يمكننا ان
يعطى الاسم الذي هو فوق كل اسم .

وفي الواقع يستطيع الله ان يفعل كل ما يريد . لكنه
لا يريد سوى ما هو جدير ، وما كان جديراً باسمه شيء غير
منظم . لان الذي ابداع الترتيب فيها هو موجود ، لا يمكن ان
يريد شيئاً غير مرتب . لانه كما انه قدير ، او قل القدرة ذاتها ،
فهو ايضاً الترتيب ذاته والانظام .

وتوجد حالات يصنع فيها الله معجزات مختلفة فوق الطبيعة ،
لكنها مع ذلك لا تكون ضد كلماته . فكيف اذن من يقول :
" من مشرق الشمس الى مغربها اسم الرب مسيح " (مز ١١٣ : ٣) ،
ويقول ايضاً على لسان نبي آخر : " انا الرب هذا اسمي ويجدي
لا اعطيه لآخر ، (١ ش ٤٢ : ٨) ، كيف يعطى اسماً فوق
كل اسم غير الله الكلمة ؟

ان بولس الرسول يقول عنه : « رفع في المجد » (١٦ : ٣)
ويقول أيضاً : « الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع
السموات لكي يملا السكلى » (اف ٤ : ١٠) .

فن يتجاسر بعد سماع هذه الكلمات ان يقسم الرب الاله
الوحيد يسوع المسيح ؟ إذا كان الذي نزل هو أيضاً ذاته الذي
صعد فوق كل السموات حتى الشرف الرفيع اللائق بانه ،
فكيف يؤمنون أنه اثنان وليس واحداً ؟

لهذا السبب إذا كان يقول هو نفسه إلى نيقوديموس في
الانجيل : « وليس احد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء
ابن الانسان الذي هو في السماء » . (يو ٣ : ١٣) . فان ذلك
الذي تجسد من والدة الاله مريم هو ذاته كلمة الله السكائن قبل
الدهور ، السكائن في السموات الذي يملا السكلى . وهذا لا يخالف
قول بولس الرسول : « يسوع المسيح هو هو امسأ واليوم
وإلى الابد » (عب ١٣ : ٨) .

ومع ذلك كان اليهود الذين يعلون آراء كآراء الضلالة
الذسطوريه وهم خصوم عميان ، عندما كلف الرب يسوع بصرخ:
« انا هو الحيز الذي نزل من السماء » (يو ٦ : ٤) كانوا بصرخون
ضده مجدفين قائلين : « اليس هذا هو يسوع ابن يوسف الذي
نحن عارفون بابيه وامه » . فكيف يقول هذا إلى نزلت من
السماء » (يو ٦ : ٤٢) .

والمسيح الذي يعلم افضل من اليهود ومن الذسطوريين انه
واحد وهو ذاته لا يتقسم إلى طبيعتين بعد الاتحاد ، والذي كان
يرى ايضاً ان بعض المنصنين به شكوا فيما قاله بشأن الحيز
وترددوا كان يقول مهتماً : « اهذا يعثركم » . فان رأبستم
ابن الانسان صاعداً إلى حيث كان أولاً ، (يو ٦ : ٦٢ - ٦٣)
فاذا كان يملا السكلى ، فكيف إذا يقول : « صعد أيضاً
فوق جميع السموات لكي يملا السكلى » (اف ٤ : ١٠) ؟

انا نقول انه حينما تجسد ظهر للذين على الارض . وذهب
إلى الذين هم تحت الارض حينما نزل إلى الجحيم . فبقى ان

يذهب أيضاً إلى الذين هم في السماء ، بعد تجسده ، لكي يلا
الكل بالربح الذي يفيض من التجسد بخلاصة البشر من لعنة
الخطية ورباطات الموت ، وباعلانه الآخرين باعماق حكمته .

ولقد عرفت القرات الساتية أيضاً غنى الحكمة الالهية في
كامل وفرته ، ذلك الغنى المستر بسبب التدبير الالهي ، بما كان
يررده اولئك الذين جعلهم ميلاد عمانوئيل في دهشة فظهروا
مسيحين الله قائلين : ، المجد لله في الاعالي وهل الارض السلام
وبالناس المسرة ، (لو ٢ : ١٤) . وكتب بولس الرسول إلى
إهل أفسس مؤكداً ذلك بطريقة واضحة جداً في هذه الآية :
، لكي يعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات
براسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة ، (اف ٣ : ١٠) .

امام المنجد تجشو كل ركبة . ، لكي تجشو باسم يسوع
كل ركبة من في السماء ومن على الارض ومن تحت الارض .
(١٠ : ٢٣) ويعترف الجيوس بساطانه : ، ويعترف كل لسان
ان يسوع المسيح هو رب مجد الله الآب ، (١١ : ٢) .

ولا توجد امة أو لسان ، إلا وأعترف بضرورة الايمان
بالمسيح ، الذي به وفيه يعرفون الآب ، لان الذي رأى الابن
رأى الآب (يو ١٤ : ٩) ، ومجد الابن هو مجد الآب .

وتدحض هذه الكلمات أيضاً حماقة اريوس وأمونيوس
الذين قالوا بان ابن الله مخلوق وانه لا يساوي الآب . فانه في
الواقع ليس من العدل ان يعطى الاسم الذي هو فوق كل اسم ،
لاحد المخلوقات أو لاحد الذين ليسوا مثل الله الآب بالجوهر .
لانه لو كان الابن مخلوقاً وكان واحداً من المخلوقات ومحسوباً
منهم ، لما كان اسمه فوق كل اسم . وانه أعلى من كل خليفة
وانه ليس بين الكائنات المخلوقات من يشبهه .

ولذلك فان الاولين والقديماء واكثر العبرانيين فهماً
الالهيته ، الذين هم اعلنت الافوال الالهية والنبوات الحالية
من الخطأ ، كانوا يدهونه أيضاً ، الذي لا يمكن ان يسمى ، أو
، من يسمو ويسبق ويرتفع فوق كل اسم ، وبولس الرسول
من ناحيته دعاه : ، ذلك الذي هو فوق كل اسم ،

ان عمانوئيل هو فرق كل خليقة ، إله بطبيعته . كان الثلاثة
فتية يجردون الرب وسط اللهب ووسط نار مخيفة للغاية . وكانوا
يقبلون معهم الملائكة والسلاطين وكل الخليقة الروحانية الحساسة
في ذلك الحورس الروحاني ، اسكنهم كانوا لا ينسبون المجد
والرفعة فوق السكل الا لسيد الكون فقط .

من ذا الذي يستطيع ان ينطق بالمسيح الذي يليق بكرم
وعظمة محبة المسيح وتنازله الفخر محدود 114

قديماً كان موسى يصعد هلي جبل سينا ويظل اربعين يوماً
لا يتناول فيها اى طعام ويصوم عن الحبز والماء ، لكي يرى فقط
ظهور مجد الله ، وكان هذا المجد له تحت شكل نار مختلطة
بالظلام والدخان .

لكن المسيح ، كلمة الله ، النور الحقيقي بدون اختلاط ،
قد انطلق من العلا وتوغل في عمق الارض في المناطق السفلى من
الارض وأخرجنا من هنا واصعدنا نحن الذين كنا غارقين في
الخطية والموت .

بعد ان قام المسيح من الاموات ، عاش اربعين يوماً مع
التلاميذ وأكل وشرب عدة مرات مؤكداً بذلك هذا التدبير
الاهي حسب الجسد الذي يفوق التصور . وهكذا صعد الى السماء
وهو يحملنا جميعاً في ذاته ، لانه كان قد تجسد في طبيعتنا .

لم تشك ايها الانسان ولا تؤمن بقيامة الاموات وبملكوت
السموات ، بينما الذي يضمنها لك هو السيد المسيح الذي تجسد
من جنسك وقام من الاموات وصعد الى السموات ودخلها ؟

في الواقع ، إن لم يكن قد تجسد بطبيعتنا ، حسب فرور
افتخوس ، لكان قد بطل رجاؤنا المستقبل ، ولكننا نتحمل
نفس ما تحمله الذين يخدمهم المرابون ، أولئك الذين أخذوا
عرضاً عن الدناير الحقيقية من الذهب والفضة ، ما يبدو كالذهب
وهو من الداخل نحاس .

والسمع بولس الرسول يقول : فانه إذ الموت بانسان بانسان
ايضاً قيامة الاموات . لانه كما في آدم يموت الجميع هكذا
في المسيح سيعيا الجميع (1 كور ١٥ : ٢١ - ٢٢) .

وبينما كان السيد المسيح يصعد إلى السماء ، كان التلاميذ ينظرون إليه متعجبين . وكانوا متعلقين به بأرواحهم وهم يفتحصون نحوه بأعينهم ويرفعون أبصارهم ، يسمعون ما يقول الرجلان اللذان وقفاهما بلباس ابيض : ايها الرجال الجليليون ما بالسك واقفين تنظرون إلى السماء . ان يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء . (اع ١ : ١١) . ولم يتوقف التلاميذ عن النظر إليه وهكذا كانوا يحميون وكانوا يستعدون للربيا المستقبلة .

وان تلك الكلمات لم تكن موجهة إليهم فقط ، بل إلى كل المؤمنين أيضاً عن طريقهم ؛ ونحن أيضاً ننظر إليه ونفكر في الشرف الذي اولانا اياه بفضل الباكورة التي فوق كل رئاسة وكل سلطان .

ويقول القديس ساويرس منذراً بعض قومه في ذلك الوقت : وانت لاتشعر بهذا الشرف وتجري إلى مكان تدرىب الحيوانات

المفترسة ترى اناساً من جنسك يصارعونها تتمزقهم أرباباً بلا قائدة . اولئك الذين هم من نفس الطينة ولهم نفس الصورة العاقلة الالهية ولهم نفس التبنى ومن نفس الخليفة الثانية ، الذين يشركون في الباكورة الوحيدة التي صعدت فوق السموات وتعلمت على النفوس العلوية الروحانية غير المادية .

كيف اتكلم بدون دموع ؟ كيف ابين لك جسامه الخطيئة ؟ بعد ان اتى بنا من لاشيء إلى الوجود ، وشرفنا بالسلطان على الوحوش والطيور والحيوانات وعلى كل الارض حتى كانت الوحوش تخضعنا خاضعة لنا ، وكان الذهب والذئب يكفنان سلاماً نحو الانسان . فلتقتنك الوحوش نفسها ، فقد كانت كسائر قطبيح حيوانات المرعى تجتمع حول آدم ، حينما كان يدهيها اسما بطريفة خاصة وكان يميز كل نوع باسمه ، ولسكن الآن بعد ان انتزع عنا هذا السلطان بسبب الخطيئة ، لم نعد نحمل في انفسنا السمعة الطاهرة التي للصورة الالهية ، فاننا نخشى مساورة الوحوش الضارية . نتذكر سلطانتنا القديم فننتكشف خطيئة جنسنا .

فلنتنظر إلى الانسان الجديب الذي اعادنا إلى ملكوت
السماوات بدلاً من السلطان الذي كان لنا على الارض والذي
كنا فقدناه ، وجعلنا نخوفين ليس لدى الوحوش الضارية
خشب ، بل لدى الشياطين ، وأيضاً مكرمين عند الملائكة .

هذا ما فعله دانيال الذي أخزى أمامه الاسود ، عندما
كان مجوساً في الحب . وهذا أيضاً ما تؤكد القديسة تيركلا
التي جازت التجربة وكانت صابرة جداً في البتولية وفي الإيمان ،
وكذلك الجمع الغير محصى من الشهداء الذين اوقفوا الغضب
الرهيب لثغاب الوحوش الضارية ، مترسمين المسيح باكورة
جنسنا ؛ وقد اقتبلوا القول الإلهي مثل بولس الرسول الذي
يقول : وفأطلب اليكم ان تكونوا متمثلين بي كما انا بالمسيح ،
(١ كور ٤ : ١٦) .

ويختم القديس ساويرس الخطاب فيقول : انه لا زال
عندي أقوال كثيرة مؤثرة ؛ فاني انسى المقال احتراماً لهذا

العيد العظيم المحبوب ، متضرعاً إلى المسيح الذي رفع لأجلنا ،
الذي صعد إلى السماء ، ان يرفع إلى السماء عقولنا المتجهة إلى
أسفل ، بنعمته ومحبه ورحمته ، له بليق أيضاً المجد مع الآب
والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين .

